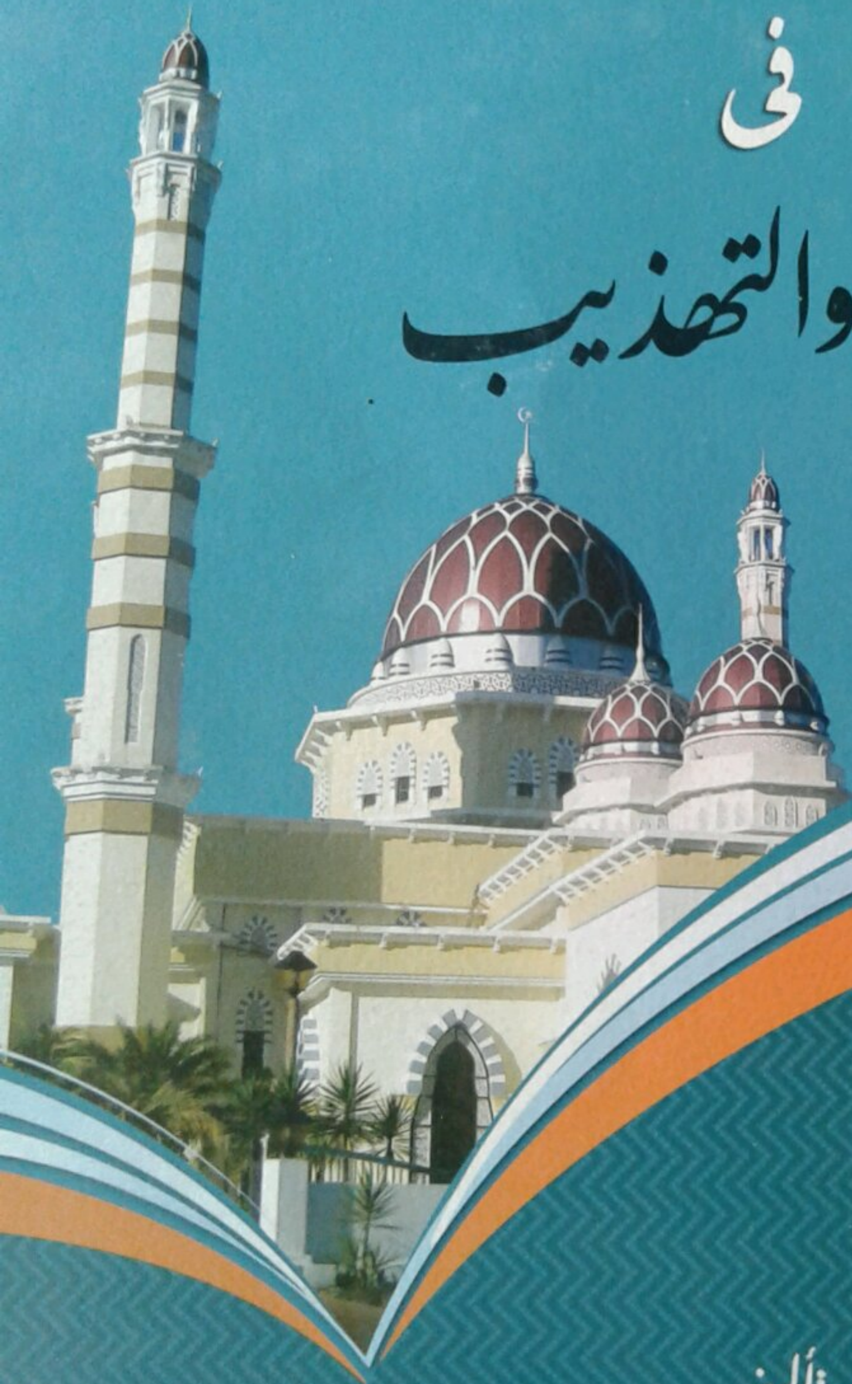
التَّحْلِيَةُ وَالتَّرْغِيبُ

فى

التربية والتهذيب



تأليف

سيّد محمّد

احد مدرسى اللغة العربية المدارس الامرية

التحلية والترغيب

في

التربية والتهذيب

تأليف

سيّد محمّد

احد مدرسي اللغة العربية المدارس الاميرية

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بعد حمد الله والصلاة والسلام على خير أنبيائه، أقول: غير خاف أن تربية الناشئين تستلزم الوسائط التى توصل إلى تعهد الأجسام وحفظها ونموها وتكفل الوسائل التى ينشأ عنها تأديب النفس بتعويد الناشئ على التبصر فى الأمور، فيميز بين النافع والضار والحسن والقبيح والخير والشر، فتضبط أمياله وإرادته وتصلح عادته ومشاربه، ويصير حر الإرادة قوي العزم مهذب النفس حسن الخلق محبا للحق والحقيقة صادق الخدمة سليم الذمة مداوما على العمل معتادا على النظام والترتيب فى جميع أقواله وأفعاله، وإذن ينفع نفسه وينفع أمته.

ولما كانت التربية بهذا الغرض من أهم الأمور التى يجب أن تلحظ بعين العناية ويوجه لها حسن الرعاية دعاني القيام بحقوق الوطنية والوفاء بواجب الإنسانية إلى أن أجمع كتابا سميته بالتحلية والترغيب فى التربية والتهذيب، وجعلته محتويا على وسائط تعهد

الأجسام ووسائل تأديب الأنفس راجيا أن يكون مفيدا فى بابه ويتم به النفع لطلابه، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

﴿ سلوك الإنسان ﴾

مع من هو أعلى منه ومع مساويه ومن هو أقل منه

﴿ الإنسان محتاج للاجتماع بأبناء جنسه ﴾

اعلم أن الإنسان فى شدة الاحتياج لأن يجتمع بأبناء جنسه، لأنه لا يمكنه أن يقوم وحده بتحصيل حاجاته وما يلزم لمادّته فى حياته من الأغذية والمساكن والملابس وحظوظه النفسانية ولذاته المباحة واحتياجاته العقلية، انظر إلى الرغيف والقميص، تجد أنهما ما وصل إليك إلا بعد أن اشتغل فيهما الكثير من الناس، فإن الرغيف ما جاء فى يدك إلا بعد الزرع والحصاد والدّس والغربلة والطحن والعجن والخبز، وكذا القميص من القطن مثلا، ما لامس جلدك إلا بعد زرع القطن وجمعه وغزله ونسجه وتفصيله وخياطته، فإذا كان هذا هو حال اللقمة والقميص فكيف حال بقية لوازم المعيشة؟

وإذا لا تجد مفرا من معاشرتك لهم واجتماعك بهم مع تفاوتهم فى العادات والأخلاق والدرجات.

﴿ أنواع درجات من تعاشرهم ﴾

اعلم أن الناس بالنسبة لك ثلاث فرق: الأولى من هم أعلى منك مقاما وعقلا وفضلا وأدبا كوالديك وأساتذتك وولاة أمورك، الثانية من هم فى رتبتك كأخواتك وإخوانك وأصدقائك، الثالثة من هم أدنى منك معرفة وأقل درجة.

﴿ الأم ﴾

إن أمك قد كابدت المشقات الشديدة والعنايات العديدة فى حملك تسعة أشهر ووضعك وإرضاعك ونظافة ثيابك وخياطتها وحفظك من كل ما يضرك ويؤلمك،مع شفقتها عليك ومحبتها لك، فيلزمك أن تعاملها بالبر والإحسان باذلا جهدك وصرف عنايتك فى رضاها وحبها وقبول نصائحها، وإياك أن تتعبها أو تغير قلبها أو تكدرها أدنى كدر لتفوز برضاها وتبلغ من الحسنى منتهاها، واعلم

أن الأم مقدمة على الأب فى وجوب الاحترام والتكريم، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: " يَا رَسُوْلَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِيْ ؟ " قَالَ: " أُمُّكَ " قَالَ: " ثُمَّ مَنْ ؟ " قَالَ: " أُمُّكَ " قَالَ: " ثُمَّ مَنْ ؟ " قَالَ: أُمُّكَ " قَالَ: " ثُمَّ مَنْ ؟ " قَالَ: " أَبُوْكَ "(١)، وفى بعض الروايات المشهورات وجوامع الكلم المأثورات: " الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ "، فأطع والديك وساعدهما حال كبرهما عملا بقوله تعالى: " وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوْا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيْمًا ".

﴿ الأب ﴾

أنت تجد بطبيعتك من صغر سنك اعتناء أبيك بشأنك وتعهده أحوالك من المأكل والمشرب والملبس والتعليم وسائر لوازمك، فيرتسم فى ذهنك من المهد ما قاساه والدك من المشقات الشديدة فى تربيتك روحا وبدنا، فضلا عن كونه هو السبب فى وجودك فى هذه الدنيا،

(١) وفى رواية أمك ثم أمك ثم أباك

فأنت لا يسعك إلا أن تخلص فى محبة من أحسن إليك وتحترم من حماك وصانك من كل مكروه وأنت صغير لا تقدر على جلب نفع أو دفع ضرر، وتعمل بوصاياه فى جميع الأمور التى تنفعك وترفعك كحفظ الدرس وحسن الأخلاق والأدب والكمال والمشي بالنشاط واللطف وتعودك على فعل الجميل من صغرك ليرسخ فى نفسك حال كبرك، فعليك باحترام والدك وإخلاصك فى محبتك له متجنبا نزاعه وكدره وكثرة الضحك ورفع الصوت بحضرته لتنال رضاه فتبلغ ما تتمناه.

﴿ ولاة الأمور ﴾

إن ولاة الأمور هم الذين بواسطتهم ينصر الدين فتقام الحدود وتؤدى الفروض ويمتنع التعدي وتحقن الدماء وتحفظ الصحة وتنظم البلاد وتصنع الترع والجسور والقناطر والحصون والقلاع وتؤلف الجند ويسهل مقاصد كل فريق ويثبت الأمن ويحفظ الوطن ويشيد عماد التربية والتعليم وينشر العدل وغير ذلك مما يرفع النـزاع ويكفل حصول الأمن واستتاب الراحة، فأنت فى نظير أعمالهم

الجلية وسهرهم على المنافع العامة يلزمك أن تخلص فى محبتهم ومساعدتهم وطاعتهم التى قرنها الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله حيث قال: " يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوْا أَطِيْعُوا اللهَ وَأَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ "، ودفع ما يقدر من الرسوم لتصرف فى المصالح العمومية وبذل الجهد معهم فى جميع ما يحسن العادات، ويوسع نطاق الزراعة والتجارة والصناعة.

﴿ الأستاذ ﴾

إن أستاذك هو الذى أنقذك من مصيبة الجهل وبث فى فؤادك ما يصيرك إنسانا كاملا فاضلا عالما عارفا ما لك وما عليك من الحقوق والواجبات، نافعا نفسك وغيرك، منصرفا عن الرذائل إلى الفضائل، محبوبا لجميع الناس، منظورا إليك بعين الوقار والاعتبار. فيلزمك أن تحترمه وتعظمه بأن تجلس بين يديه مؤدبا منتبها مصغيا معتبرا بنصائحه، عاملا بكل ما يرشدك إليه، متواضعا له، معتقدا فيه، سامعا لقوله، مطيعا لأمره، مجدا فى التعلم، متأملا قبل الكلام، تاركا فى

الدرس ما يشغلك من علائق الدنيا، حتى تعيش معيشة العلماء الأعزاء، وتترك معيشة الجهلة الأذلاء.

﴿ الأخوة والأصدقاء ﴾

يجب عليك أن تديم لهم المودة وتعتني بصحبتهم وتراعي الأدب معهم، بأن تلاطفهم وتستجلب محبتهم بحسن أخلاقك ولطف معاملتك، متباعدا عن الأذى وسوء الخلق والغش، ملازما لنصحهم، وإحسان معاشرتهم، وتحمل أذاهم، وإكرام مثواهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وإرشادهم للخير، وإبعادهم عن الشر، وحبك لهم ما تحب لنفسك، وتغافلك عن بعض هفواتهم، وعفوك عن بعض زلاتهم، طلبا لبقائهم كما قيل:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ أَخَاكَ وَزَلَّةً ۞ إِذَا زَلَّـهَا أَوْشَكْتُمَا أَنْ تَفَرَّقَا

فإنهم يساعدونك على جميع الخيرات، ويتفقدون أحوالك فى السراء والضراء، ويسترون ما بدا من عيوبك، ويحفظونك فى غيابك،

وينقذونك إذا عثرت، ويفهمون ما فى ضميرك من عينك إذا نظرت، ويفدونك بأنفسهم وأموالهم، قال الشاعر:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لاَ أَخَ لَهُ ۞ كَسَاعٍ إِلَى الْهيجَا بِغَيْرِ سِلاَحِ

وقال آخر:

عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصَّفَا فَإِنَّهُمْ ۞ عِمَادٌ إِذَا اسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظُهُوْرُ
وَمَا بِكَثِيْرٍ أَلْفُ خِلٍّ وَصَاحِبِ ۞ وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا لَكَثِيْرُ

﴿ من هم أقل منك معرفة وأدنى درجة ﴾

ينبغي أن لا تكثر معهم اللجاجة، ولا تخالطهم إلا بقدر الحاجة، فإن المخالطة تؤثر الطبع سراق[1]، والنظر إلى الصور يورث أخلاقا، وعقائد مناسبة لخلق المنظور إليه وعقيدته، فدوام النظر إلى المحزون يحزن، وإلى المسرور يسر، والحمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الذلول، فالمقارنة لها تأثير فى الحيوان والنبات، ففى النفوس أولى، قال

(١) المرء يصلح الجليس الصالح.

الشاعر:

إِذَا كُنْتَ فِى قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِـيَارَهُمْ ۞ وَلاَ تَصْحَبِ ٱلأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِيْ
عَنِ ٱلمَرْءِ لاَ تَسْـأَلْ وَسَلْ عَنْ قَـرِيْنِهِ ۞ فَكُلُّ قَـرِيْنٍ بِالْمُقَـارِنِ يَقْـتَدِيْ

﴿ الأدب وحسن المعاملة ﴾

الأدب هو التخلق بالأخلاق الحميدة التى ترضي الله ورسوله وجميع العقلاء، فهو أفضل هبة وأجمل مزية ومادة العقل وروح الفضل، قال الشاعر:

مَا وَهَبَ اللهُ لاِمْرِئٍ هِبَـةً ۞ أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِـهِ وَمِنْ أَدَبِه
هُمَا حَيَاةُ الْفَتَى فَإِنْ فُقِـدَا ۞ فَإِنَّ فَقْدَ الْحَـيَاةِ أَلْـيَقُ بِـه

﴿ أنواع الأدب ﴾

الأدب أنواعه كثيرة، منها الصدق وحسن الخلق والحياء والحلم ومحادثة العقلاء والمشورة وكتمان السر والمروءة وحب الوطن وترك الكبر والإعجاب.

﴿ الصدق ﴾

الصدق هو الإخبار عن الشيء على ما هو عليه، وهو وصف يدعو إليه الدين والعقل والمروءة وحب الثناء والاشتهار بالكمال، فلا مزية أجمل منه، ولا سجية أكمل منه، ولا عطية أشرف منه، ولا سمعة ألطف منه، ولا أثر أنفع منه، قال الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُوْنُوْا مَعَ الصَّادِقِيْنَ "، وقال أيضا: " إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الذينَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ بِايَاتِ اللهِ "، وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال للحسن بن علي: " دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلىَ مَا لاَ يَرِيْبُكَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ رِيْبَةٌ وَالصِّدْقَ طُمَأْنِيْنَةٌ "[1]، قال الشاعر:

وَمَـا شَيْءٌ إِذَا فَكَّـرْتَ فيهِ ۞ بِأَبْعَدَ لِلْمُـرُوْءَةِ وَالْجَمَـالِ
مِنَ ٱلكَذِبِ الذى لاَ خَيْرَ فيهِ ۞ وَأَبْعَدَ بِالْبَهَـاءِ مِنَ الرِّجَـالِ

فيلزمك أن تتخذ الصدق عادة لازمة وطبيعة دائمة، فإن فيه سلامتك ونجاحك، ورضاء خالقك والناس جميعا، فإذا سئلت عن

(١) مأخذ هذا الحديث من كتاب "أدب الدنيا والدين" للإمام أبي الحسن الماوردي.

أمر من الأمور ولم تكن متذكرا له ينبغي لك قبل الإخبار أن تتأمل وتتأني ثم تجوب بما تعلمه، فإن اعتراك شك فى أمر تريد أن تخبر به فلا تنطق بهيئة التحقق والتيقن، بل توره على صورة تدل على عدم جزمك به، وبالجملة فالكذب من أقبح الرذائل فتباعد عنه، وإلا لحقك شؤمه، وشملك عاره، وقتلك سمه، وساءك ذمه، والزم الصدق فإنه منجاة.

﴿ حسن الخلق ﴾

هو أن تعامل الناس بالبشر، ولين الجانب، ولطف الحديث، وطلاقة الوجه، وقلة النفور، فتستميل نفوسهم وتجذب قلوبهم، وتكثر أصفياؤك وتقل أعداؤك، ويسهل عليك كل صعب ويتسع رزقك، ويعاملك إخوانك بكمال الاحترام والتكريم، ويسعى الكل فى منافعك، ويحبونك ويحبك الله ورسوله، قال عليه الصلاة والسلام: " إِنَّ اللهَ اخْتَارَ لَكُمُ ٱلإِسْلاَمَ دِيْنًا فَأَكْرِمُوْهُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ، فَإِنَّهُ لاَ يَكْمُلُ إِلاَّ بِهِمَا " [١]، وقال بعض العلما: " الْحَسَنُ الْخُلُقِ مِنْ نَفْسِهِ

(١) مأخذ هذا الحديث من كتاب " أدب الدنيا والدين " للإمام أبي الحسن الماوردي.

فى رَاحَةٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فى سَلاَمَةٍ، وَالسَّيِّءُ الْخُلُقِ النَّاسُ مِنْهُ فى بَلاَءٍ وَهُوَ مِنْ نَفْسِهِ فى عَنَاءٍ "، وقال الشاعر:

إِذَا لَمْ تَتَّسِعْ أَخْلاَقُ قَوْمٍ ۞ تَضِيقُ بِهِمْ فَسِيْحَاتُ الْبِلاَدِ

فإياك وأن تغير أخلاقك ولاية أو عزل أو غنى أو فقر أو هم أو مرض أو هرم أو بغض أو غير ذلك مما يطرأ على الإنسان فينشأ عنه ضيق صدر أو شدة أسف، أو قلة صبر أو بطر أو أنفة أو شغل قلب، أو عدم تحمل أذى، بل استعمل الثبات والتحمل والجلد والصبر ليحسن حالك ويكمل مالك.

﴿ الحياء ﴾

هو كف اللسان عن الألفاظ القبيحة المذمومة عند الله والناس، ومنع النفس عن الأفعال السيئة المعيبة، فعليك بالتمسك بالحياء وعدم التساهل فى الاتصاف به، فإن الذى يتساهل فى ذلك هو من لا يعرف قيمة الآداب، ولا يفهم حقيقة الواجب عليه، فيتعود على قلة الحياء، فيكبر وهو قبيح مرذول محروم من كل خير وفضل، واقع

دائما فى الشر والشقاوة، قال عليه الصلاة والسلام: " الْحَيَاءُ مِنَ ٱلإيْمَانِ، وَٱلإِيْمَانُ فى الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فى النَّارِ "[١].

وقال بعض الحكماء: " مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ "، وقال الشاعر:

إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْـــهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ ۞ وَلاَ خَيْرَ فى وَجْـــهٍ إِذَا قَلَّ مَاؤُهُ
حَـيَاءَكَ فَاحْفَظْهُ عَلَيْكَ وَإِنَّمَا ۞ يَدُلُّ عَلَى فِعْلِ الْكَـــرِيْمِ حَيَاؤُه

﴿ أنواع الحياء ﴾

الحياء على ثلاثة أنواع: حياؤك من الله تعالى، وحياؤك من الناس، وحياؤك من نفسك.

فحياؤك من الله عبارة عن أن تمتثل أمره وتجتنب نهيه، مذكرا نفسك أن الله سبحانه ما حرم شيئا إلا وأغنى عنه بمباح ليعينها ذلك على طاعته، ويمنعها من مخالطته، واعظالها بأنه تعالى لا يخفى عليه ضمير، ولا يعزب عنه قطمير، ليساعدها ذلك على امتثال أوامره

(١) وفى رواية: " الحياء شعبة من الإيمان ".

واتقـاء زواجره، قال ﷺ: " اِسْتَحْيُوْا مِنَ اللهِ حَـقَّ الْحَيَاءِ "، فقيل: " يَا رَسُوْلَ اللهِ، كَيْفَ نَسْتَحْيِيْ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ؟ " قَالَ: " مَنْ حَفِظَ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى وَتَرَكَ زِيْنَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَذَكَرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى فَقَدِ اسْتَحْيَى مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ ".

وأما حياؤك من الناس فهو عبارة عن كف أذاك عنهم، وتركك مجاهرتهم بالقبيح، وتباعدك عن التكلم فى حقهم بالكلام الذى يكدرهم وينفرهم عنك، فإنه لا فائدة تعود عليك من إساءة غيرك ولا نفع فى الضرر، بل تكلم فى حقهم بما يسر نفوسهم ويشرح صدورهم، فيعاملوك بما عاملتهم به متباعدا عن مشاتمة الناس، وإلا وقعت فى الضرر وساء حالك بسبب الشتم الذى لا يقع إلا من الناس الجهلاء الذين لا عقل لهم من الأشرار والأغبياء، وأما الفطن النبيه العاقل فهو الذى يحصل على مطالبه وحاجته باللطف والمعروف ولين الجانب لا بالشتم والضرب وطول اللسان وسوء الخلق، قال عليه الصلاة والسلام: " مَنِ اتَّقَى اللهَ اتَّقَى النَّاسَ " [١]، وقال الشاعر:

(١) مأخذ هذا الحديث من كتاب " أدب الدنيا والدين " للإمام أبي الحسن الماوردي.

إِذَا لَمْ تَصُنْ عِرْضًا وَلَمْ تَخْشَ خَالِقًا ۞ وَتَسْتَحِ مَخْلُوْقًا فَمَا شِئْتَ فَاصْنَعِ [٢]

وأما حياؤك من نفسك فهو عبارة عن أن تجتنب فعل كل ما يكرهه الناس وحدك وفى خلوتك، فإياك والتساهل فى أي أمر قبيح وحدك، فإنك إن فعلت ذلك منفردا آل الأمر إلى فعله وأنت مع الناس فتصير مبغوضا مذموما منظورا إليك بعين الاحتقار وعدم الشرف، قال حكيم: " لِيَكُنِ اسْتِحْيَاؤُكَ مِنْ نَفْسِكَ أَكْثَرَ مِنِ اسْتِحْيَائِكَ مِنْ غَيْرِكَ "، وقال الشاعر:

فَسِرِّيْ كَإِعْلاَنِيْ وَتِلْكَ خَلِيْقَتِيْ ۞ وَظُلْمَةُ لَيْلِيْ مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِيْ

﴿ الحلم ﴾

الحلم هو أن تضبط نفسك عن هيجان الغضب، بأن ترحم الجاهل صيانة لك عن مشاكلته، وتعفو عن عدوك مع قدرتك عليك، عملا بقوله عليه الصلاة والسلام: " إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ "، وتحتقر المسيء السفيه ليعتقد أنه ما

(٢) أي إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

منعك عن إجابته إلا هوانه عليك، وتباعدك من التحلي بصورته، قال الشاعر:

إِذَا نَطَقَ السَّفيهُ فَلاَ تُجِبْهُ ۞ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوْتُ
سَكَتُّ عَنِ السَّفيهِ فَظَنَّ أَنِّي ۞ عَيِيْتُ عَنِ الْجَوَابِ وَمَا عَيِيْتُ

وإن تعرف قدر من هو أعلى منك وترفع قدرك عمن دونك وتتفضل على نظيرك، قال الشاعر:

سَأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ ۞ وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ إِلَيَّ الْجَرَائِمُ
فَمَا النَّاسُ إِلاَّ وَاحِدٌ مِنْ ثَلاَثَةٍ ۞ شَرِيْفٌ وَمَشْرُوْفٌ وَمِثْلٌ مُقَاوِمُ
فَأَمَّا الذى فَوْقِيْ فَأَعْرِفُ قَدْرَهُ ۞ وَأَتْبَعُ فيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لاَزِمُ
وَأَمَّا الذى دُوْنِيْ فَأَحْلَمُ دَائِبًا ۞ أَصُوْنُ بِهِ عِرْضِيْ وَإِنْ لاَمَ لاَئِمُ
وَأَمَّا الذى مِثْلِيْ فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَا ۞ تَفَضَّلْتُ إِنَّ الْفَضْلَ بِالْفَخْرِ حَاكِمُ

﴿ ما يفعل عند ثورة الغضب ﴾

تذكر قدرة الله لتكون ذلك مانعا لك من استعمال قدرتك فى ظلم عباد الله، وتأمل فى عاقبة الغضب، فإنها ندم، وفى جزاء الصفح

وثواب العفو، وانعطاف القلوب عليك وميل النفوس إليك رغبة فى التألف وحبا لجميل الثناء.

﴿ المحادثة ﴾

إن محادثتك مع العقلاء الذين جربوا الأمور فعرفوا الضار من النافع، واختبروا الأحوال فعلموا الحسن والقبيح، ترشدك إلى آداب المعاشرة وتهديك إلى حسن المعاملة وتذكرك بماضى الحوادث وتقلبات الدهور، فتعلم من كانت أعمالهم سببا فى رفعتهم وعلو قدرهم وكمال مروءتهم، ومن كانت أعمالهم سببا فى مذلتهم ودناءتهم وانحطاط قدرهم، قال الشاعر:

وَمَــــا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَّاتِ إِلاَّ ۞ مُحَادَثَةُ الرِّجَالِ ذَوِي الْعُقُوْلِ

وقال آخر:

مَــا عَتَبَ الْمَرْءَ اللَّبِيْبَ كَنَفْسِهِ ۞ وَالْمَرْءُ يُصْلِحُهُ الْجَلِيْسُ الصَّالِحُ

﴿ استماع الحديث ﴾

إن أردت استماع الحديث من أحد إخوانك ينبغي لك أن تقبل عليه بوجهك وتصغي كل الإصغاء إليه بحيث لا يشغلك شاغل عن استماع حديثه، وإن بدا لك شيء فى أثناء كلامه تريد السؤال عنه فاصبر حتى ينتهى كلامه ثم سل عما شئت، وأن لا تجيب عن شيء سئل عنه غيرك، وإن ظهر لك من سياق الكلام أنك تعلمه فلا تظهر ذلك للمتكلم.

﴿ آداب المتكلم ﴾

إن أردت أنت الكلام ينبغي لك أن يكون كلامك لجلب نفع أو دفع ضرر، وإلا كان مرذولا قد أظهرت به جهلك، وأبنت به نقصك، وأن يقع موقع الانتفاع به فى وقته لا قبله، وإلا كان عجلة وحمقا، ولا بعده، وإلا كان توانيا وعجزا، قال الشاعر:

تَضَعُ الْكَلاَمَ عَلَى مَوَاضِعِهِ ۞ وَكَلاَمُكَ مِنْ بَعْـدِهَا نَزْرُ

وأن تقصر منه على قدر الحاجة، فإن الكثير ممل والقليل مخل، قال الشاعر:

وَزِنِ الْــــكَلاَمَ إِذَا نَطَـــقْتَ فَإِنَّمَا ۞ يُبْدِيْ عُيُوْبَ ذَوِي الْعُيُوْبِ الْمَنْطِقُ

وقال آخر:

وَزِنِ الْكَلاَمَ إِذَا نَطَقْتَ وَلاَ تَكُنْ ۞ ثَـرْثَارَةً فى كُـــلِّ وَادٍ تَنْطِـــقُ

وأن تختار الألفاظ التى تتكلم بها بأن تكون عذبة خالية مما ينفر أو يقبح مع المناسبة بينها وبين المعاني، وأن تحقق كلامك بفعلك وقولك بعملك، وأن يكون بصوت متوسط على قدر اللزوم، فإن رفعه جدا يوجب نفور السامع وضعف رؤيتك وبحة صوتك وصداع رأسك، وحفظه كثيرا يوجب صعوبة سماعه وزيادة إصغاء السامعين، وأن يكون وسطا بين التأني والسرعة وبين الحدة والرخاوة، وأن يكون كلامك مناسبا لحال المخاطب، فاجعل حديثك مع الزارع فى الأرض وزرعها وجودتها ومحصولها وغير ذلك مما يناسب حالته، ومع الجندي فى الحرب والمدافعة فيخبرك بما كابده فى ذلك ويعدده لك، ومع التاجر

وَمُسْـــتَوْدِعِيْ سِرًّا تَضَـمَّنْتُ سِرَّهُ ۞ فَأَوْدَعْتُهُ مِنْ مُسْتَقَرِّ ٱلْحَشَـا قَبْرَا
وَلَـــكِنِّيْ أُخْفــيهِ عَنِّيْ كَأَنَّنِيْ ۞ مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا مَا أَحَطْتُ بِهِ خُبْرَا
وَمَــا السِّرُّ فى قَلْبِيْ كَمَيِّتٍ بِحُفْرَةٍ ۞ لأَنِّيْ أَرَى الْمَدْفُوْنَ يَنْتَـظِرُ النَّشْرَا

﴿ المروءة ﴾

هى أن تعود نفسك على مراعاة أفضل الأحوال وأكملها بأن تمنع نفسك عن كل أمر خسيس وكل حال دنيء ينقص قدرك ويجعلك محتقرا بين إخوانك، ولا يتيسر ذلك إلا إذا علت همتك فأنفت مما يوجب الدناءة، واستنكرت ما يستلزم المهانة، وشرفت نفسك فطلبت الآداب ورغبت فى الفضائل، قال عليه الصلاة والسلام: " مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ فَهُوَ مِمَّنْ كَمُلَتْ مُرُوْءَتُهُ وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ وَوَجَبَتْ أُخُوَّتُهُ ". وقال الشاعر:

إِنَّ الْمُرُوْءَةَ لَيْسَ يُدْرِكُهَـا امْرُؤٌ ۞ وَرِثَ ٱلْمَكَارِمَ عَنْ أَبٍ فَأَضَاعَهَا
أَمَــرَتْهُ نَفْسٌ بِالدَّنَاءَةِ وَالْخَــنَا ۞ وَنَهَتْهُ عَنْ سُبُلِ ٱلْعُلاَ فَأَطَاعَـهَا

فَــإِذَا أَصَابَ مِنَ الْمَكَارِمِ خِلَّةً ۞ يَبْنِي الْكَرِيْمُ بِهَا الْمَكَارِمَ بَاعَهَــا

﴿ الأعمال الموجبة للدناءة وعدم المروءة ﴾

هى مثل أن تأخد من الناس ما تحتاج إليه ولا تدفع لهم عوضا ولا مقابلا، وأن تكون دائما ناظرا لما فى أيديهم ومتطلعا اليه، وأن تديم نظرك وتقرب من شخص يأكل رغبة فى أن يعزم عليك، أويعطيك رغيفا أوشيئا من الفاكهة، أوتفعل ماحرمه الله عليك بأن تكذب أو تقول الفخش أو تستعمل الغيبة أو النميمة أو الحسد أو تخلف وعدك أو تظلم، أو تطلب المال من الوجوه المحرمة أو غير ذلك مما يضر بشرف نفسك وكمال مروءتك ويؤدي إلى المعرة والفضيحة ودناءة الطبع.

﴿ الوطن ﴾

هو عبارة عن بلادك التى ولدت بها ونشأت فيها، وانتفعت زمنا بنباتها وحيوانها وهوائها ومائها، وعشت فوق أرضها وتحت سمائهــا، وغير ذلك من المــزايا الجليلة التى تلزم الإنسان بذل روحــه

وماله فى خدمة الوطن بما يؤدي إلى زيادة تجارته ونمو خيراته وبركاته.

﴿ حب الوطن ﴾

حبك لوطنك وأنت صغير عبارة عن أن تنقاد وتمتثل لما يأمرك به والدك أو من تولى أمرك من أمور التربية والتأديب وطرق التعليم والترقية، ليمكنك فيما بعد أن توصل المنافع لوطنك، ثم متى وصلت إلى درجة الرشد والكمال وصرت رجلا تعرف الخير من الشر يصير معنى حب الوطن بالنسبة لك هو أن تبذل روحك ومالك وخبرتك ومعرفتك وكل ما تيسر لك من الأعمال النافعة باختيارك وإرادتك لمصلحة وطنك، مقدما لها على منفعتك الخصوصية، فإن كلا من راحتك وتعبك مرتبط بكثرة خيرات وطنك وقلتها، فكلما كثرت خيراته كثرت راحتك ونمت فائدتك وتضاعفت منفعتك، وكلما قلت خيراته قلت راحتك وكثرت مشقتك وزاد تعبك.

﴿ أهم شيء يوصل إلى خدمة الوطن ﴾

هو أن تجتهد فى تحصيل العلوم والمعارف التى بها تتمكن من

خدمة الوطن العزيز على وجه الأكمل، فإن الجاهل تصرفاته كلها رديئة لا يعرف ما فيه المنفعة، فلا سبيل إلى نفع الوطن إلا بالتعلم والمعرفة، فإنهما يرشدان الإنسان إلى الرغبة فى محبة أهل الوطن والسعي فيما ينفعهم ويرفعهم وتعميم العلوم والمعارف بينهم من تأليف الكتب وطبعها ونشرها والترغيب فى التعليم والإكثار من المدارس والمكاتب ومساعدة الفقراء الذين يريدون التعلم، ونحو ذلك مما يوجب تعاون الكل عن الأعمال النافعة للبلاد من تقديم الفلاحة والصناعة والتجارة واستكشاف البلاد واختراع الآلات والأدوات والمطابع الأهلية وحرية جرائد الوقائع والملاحة والسياحة فى البر والبحر وغير ذلك مما يتسع به دائرة تمدين الوطن وتقدمه.

﴿ ليس محب الوطن من لا يخرج عن الحيطان ﴾

المحب الصادق فى المحبة هو الذى يخرج عن وطنه لأجل المنافع والثمرات التى تعود عليه، بأن يسافر إلى البلاد الأجنبية والجهات البعيدة لنيل علم أو تجارة أو صنعة، أو يخرج من بلاده ما يراه زائدا عن الحاجات وعن قدر الكفاية، ويسافر به إلى جهات

أخرى ثم يرجع بثمنه إلى غير ذلك مما ينفع الوطن ويفتح أبواب ثروته، قال الشاعر:

تَغَرَّبْ عَنِ الْأَوْطَانِ فِى طَلَبِ الْعُلاَ ۞ وَسَافِرْ فَفِى الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ وَاكْتِسَابُ مَعِيْشَةٍ ۞ وَعِلْمٌ وآداب وَصُحْبَةُ مَاجِدِ
وَإِنْ قِيْلَ فى الْأَسْفَارِ ذُلٌّ وَغُرْبَةٌ ۞ وَقَطْعُ فيافٍ وَارْتِكَابُ شَدَائِدِ
فَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ ۞ بِدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدِ

فالواجب عليك محبة وطنك وخدمته بقدر استطاعتك، ولو بالخروج عنه وجلب المنفعة له ودفع المضرة عنه لتحسن حالك وتتم سعادتك.

﴿ الكبر ﴾

هو أن ترفع نفسك على إخوانك وتتعاظم عليهم، وترى أن رتبتك فوق رتبة المعلمين، وفضلك قد وصل إلى حد النهاية، فتخاطب إخوانك بالغلظة والفظاظة وتعجب بنفسك وتغتر بحالك.

﴿ مضار الكبر ﴾

إن الكبر يكسب المقت ويمنع من التألف ومحبة الناس واحترامهم لمن يتصف به ويوجب اتفاقهم على أذاه وإذلاله وتحقيره وإهانته وحرمانه من كل خير وفضل وشرف، فالعجب كل العجب ممن يتصف بالكبر مع أنه لو انصف لرأى أن أمره نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة، قال الشاعر:

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُوْرَتِهِ ۞ وَكَانَ بِالْأَمْسِ نُطْـفَةً مَذِرَةْ
وَفِى غَدٍ بَعْـدَ حُسْنِ صُوْرَتِهِ ۞ يَصِيْرُ فِى اللَّحْدِ جِيْفَةً قَذِرَةْ

وإياك أن يحملك على الكبر علو يدك ونفوذ أمرك وكثرة المادحين لك والمتماثلين إليك، قال الشاعر:

يَا جَاهِــلاً غَرَّهُ إِفْـرَاطُ مَادِحِــهِ ۞ لاَ يَغْلِبَنْ جَهْلُ مَنْ أَطْرَاكَ عِلْمُكَ بِه
أَثْنَى وَقَــالَ بِلاَ عِلْمٍ أَحَــاطَ بِهِ ۞ وَأَنْتَ أَعْـلَمُ بِالْمَحْـصُوْلِ مِنْ رَيْبِه

بل عود نفسك الأوصاف الممدوحة والأفعال اللطيفة بقطع النظر عن

المدح والذم، فإن ذلك يوجب زيادة شرفك وكمال اعتبارك.

﴿ التحفظ على الجسم ﴾

إن محافظتك على صحة جسمك أهم شيء يجب عليك مراعاته، إذ بدون صحة الجسم يختل نظام معيشتك، فلا يهنأ لك أكل ولا شرب ولا نوم ولا راحة، فالجسم له عليك حقوق يلزمك أن تؤديها له.

﴿ الحقوق الواجبة للجسم ﴾

هى أن تداوم على نظافته من الوسخ والقذر، ونظافة طعامك وشرابك ومسكنك وملبسك مع استعمال الرياضة الجسدية.

﴿ نظافة الجسم ﴾

إذا أردت أن تلعب أو تجلس يلزم أن يكون ذلك فى أماكن نظيفة، فإن المواضع القذرة توجب اتساخ بدنك وثيابك فيصير الجسم حينئذ عرضة للأمراض والعلل، وعند ما يشتهر بين الناس أن

مرضك يصيبهم لو اختلطوا بك وتقربوا منك ينفرون من معاشرتك واختلاطهم بك، فتصير فى عزلة عنهم لا سمير لك سوى ما تعاينه من ألم الداء ولا أنيس غير معاناة الدواء، ومن الطامة الكبرى والمصيبة العظمى وصول العفر والقذر والوسخ والحبر إلى عينيك فيسقط شعر الهدب وتحمر الأجفان وربما آل الامر إلى ذهاب نور عينيك، فلا تبصر شيئا، فاجتهد كل الاجتهاد فى نظافة بدنك ووجهك ويديك وعينيك من الغمص، وعدم دعكها بيدك مع المبادرة بطرد الذباب إذا جاء على وجهك أو عينيك.

﴿ الأطعمة وأوقات الأكل الغرض من الأطعمة ﴾

إن الأطعمة تغذي الجسم وتعوض ما فنى منه بحركته وتزيل ألم الجوع، وإذن يقوي الجسم على العمل والشغل، وحيث كان هذا هو الغرض منها فلا يليق بالعاقل أن يطلب كل ما يراه من المأكل أو يفرط فى الأكل تلذذا به واستحسانا له، بل يقتصر على ما يشبع معدته ويزيل جوعه، وإلا كان نهما لا يشبع، وشرها يتسلط عليه داء التخمة وعدم الهضم والتهاب المعدة، قال عليه الصلاة والسلام: " مَا مَلأَ آدَمِيٌّ

وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ ".

﴿ تناول الأطعمة بحال توافق الصحة ﴾

يلزمك أن تتناول الأطعمة مرة واحدة فى كل خمس ساعات أو ست ليتم الهضم، فإن كانت كثيرة الدسم فتناولها وقت الظهر واقلل من الأكل فى الصبح والليل، وإياك وأن تأكل قبيل النوم أو تدخل الطعام على الطعام، أو تمكن نفسك من جميع ما تطلبه من أنواع الحلوى وأجناس المأكولات، أو تأكل شيئا شديدا للزوجة يصعب على الأسنان قطعه، أو تجمع بين حارين كاللحم والبيض أو باردين كالسمك واللبن، أو بين رطبين كالفواكه واللبن أو يابسين كالفول والعدس، وينبغي أن تنظم ساعات الغذا محتميا من الأكل إذا أصبت بالمرض مستعملا تنوع الأغذية مع التناوب مجتهدا فى جعل الأطعمة جيدة الطبخ بسيطة.

﴿ ما يصنع إذا حصل بعد الأكل قشعريرة أو فتور ﴾

يلزمك أن تبادر حالا بإخبار أهلك لينظروا فى معالجتك، فإن هذا يدل على وقوعك فى ابتداء المرض، وعليك أن تتحمل ما يعطى لك من الدواء لترجع إلى صحتك بسرعة، وإلا وقعت تحت قهر المرض وشدته فيطول عليك زمنه، وربما تعذرت معالجته فينبغي لك أن لا تكون من الأولاد الذين يميلون إلى الراحة ويألفون المرض ولا يكترثون به لعدم تفكيرهم فيما يحصل لأهليهم من التألم بذلك، بل الواجب عليك أن تكون من الأولاد الذين أحسنت آباؤهم تربيتهم فيفكرون فى أن قلوب آبائهم تذوب قلقا وأسفا وألما وحيرة عند مرض أبنائهم، فيحرصون على حفظ الصحة واجتناب أسباب المرض شفقة على آبائهم.

﴿ آداب الأكل ﴾

إن للأكل آدابا يلزمك أن تراعيها وتعمل بها، منها أن تغسل يديك قبل الأكل ثم تسمي الله تعالى، وتجلس على إحدى رجليك

وتنصب الأخرى، وتأكل باليد اليمنى وتضم شفتيك، وتلتفت يمينا ولا شمالا، ولا تجلس فوق من هو أرفع منك منـزلة ولا تنفخ فى الطعام، ولا تأكله حارا، ولا تتبع بصرك لقمة أخيك، ولا تسرع فى الأكل مع الاحتراس من تفرق فتات الخبز وتلوث شيء من ثيابك، وأن لا تتكلم حال امتلاء فمك بالطعام، وإذا فاجأك سعال أو عطاس فتباعد عن المائدة حالا ثم عد إليها،وعليك أن تجتنب الضوضاء والمزح والضحك وغير ذلك مما يشعر باحتقار الأكل، ولا بأس من المحادثة الأدبية بشرط الوقار والسكينة، ولا تنس أن من الأدب أن تأكل مما يليك مع تصغير اللقمة وشدة المضغ، ثم إذا فرغت من الأكل فاغسل يديك واحمد الله على نعمه الجزيلة واشكره على آلائه الجليلة.

﴿ الملابس والزي الغرض من الملابس ﴾

الغرض منها ستر الجسم وحفظه من تأثير البرد والحر وسائر المؤثرات الجوية، وحيث كان هذا هو الغرض منها فيلزمك أن تعتني بنظافتها وحفظها من الوسخ والقذر والتراب، لا بالتغالي فى تحسينها وبهجتها وارتفاع ثمنهـا، إذ زينة الرجل بعلمه وأدبه ومعرفته وحسن

أخلاقه وكمال تربيته، لا بزينة ملابسه، قال الشاعر:

إِذَا ٱلمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ ۞ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيْهِ جَمِيْلُ

وقال آخر:

وَمَا ضَرَّ نَصْلُ السَّيْفِ إِخْلَاقَ غِمْدِهِ ۞ إِذَا كَانَ غَضْبًا حَيْثُ وَجَّهْتُهُ بَرَى

﴿ ما تكون به الملابس موافقة للصحة ﴾

يلزم أن تكون الملابس متوسطة فى السعة بحيث لا يحصل منها أدنى ضغط على الأعضاء وتعطيل سير الدم، وأن تكون مناسبة للفصول والأقاليم والسن والصحة والمرض، وإياك وشد رباط الرقبة وبنيقة القميص (الياقة) وشد الحزام شدا قويا، وضيق ملابس الصدر والأرجل، فإنه ينشأ عن ذلك الضرر الزائد والمرض الشديد والتعب الدائم، وينبغي أن لا تكون الملابس طويلة فيسرع فسادها ولا قصيرة فيقبح منظرها، وأن تكون موافقة لعادة امثال الإنسان فلا يستعمل منها ما يوجب شهرته ودوام لحظة بالعيون كما قيل:

إِنَّ الْعُـيُوْنَ رَمَتْكَ إِذْ فَاجَأْتَهَـا ۞ وَعَلَيْكَ مِنْ شَهْـرِ الثِّيَابِ لِبَاسُ
أَمَّا الطَّعَامُ فَخُذْ لِنَفْسِكَ مَا نَشَا ۞ وَالْبَسْ لِبَاسًـا تَشْتَهِـيهِ النَّاسُ

وينبغي إذا أردت النوم أن تعلق ملابسك فى محل معين خوفا من تفرقها، وإلا أصبحت عند قصد اللبس أخذا فى البحث عنها مقبلا هنا ومدبرا هناك سائلا شخصا عن إحدى نعليك وآخر عن الثانية فتصير مشتت الفكر ضيق الصدر.

﴿ المساكن الغرض من المساكن ﴾

الغرض منها حفظ الجسم من التأثيرات الجوية وشر الأعداء فهى من أهم لوازم الصحة، وإذن يجب أن نوجه العناية إلى نظافتها ونقاوتها مما تحتوي عليه من الأنجزة الناشئة من الإفرازات الجلدية والتنفس وانتشار الروائح الكريهة من البلاليع، والأتربة المحتوية على الأقذار البرازبة وغير ذلك مما يوجب فساد الهواء.

﴿ ما تكون به المساكن موافقة للصحة ﴾

يلزم ان تبنى أن المساكن بأماكن بعيدة عما يوجب فساد الهواء، وأن تكون مرتفعة عن مسامتة الأرض صيانة لها من الرطوبة مع تعريضيها للجهات الشرقية، والإكثار من الشبابيك المزدوجة والمجاري الهوائية لتجديد الهواء ونفوذ الأشعة الضؤمية وجعل الأماكن التى تتولد منها الروائح الكريهة بالجهة القبلية وصرف الهمة إلى إبعاد الأشياء المتخمرة أو المتعفنة عن المنازل، وكذا المزابل مع الاجتهاد فى نظافتها كل يوم مما يوجب وخامتها وعدم موفقتها للصحة.

﴿ الرياضة الجسدية ﴾

إن رياضة الجسم لها دخل مهم فى الصحة، إذ أنها تقوي العضلات وتنبه المعدة وتزيدلحرارة البدن الطبيعية وترجع للأذهان ما فقدته من القوة فى الدروس وفهم المسائل العلمية الصعبة فضلا عن تقويتها الدورة الدموية وتسهيلها فهى الواسطة العظمى فى معيشة

الجسم بدون سقم ولا ألم، ولولاها لصار الإنسان ضعيفا نحيلا أصفر اللون خامل العقل.

﴿ أنواع الرياضة ﴾

أنواعها كثيرة، منها المشي والعدو والعوم والصرام واللعب المنتظم والصيد والخطابة بصوت مرتفع والغناء والجدف ولعب الجنباز الذى هو أهم أنواعها، فإنه مع تقويته للأعضاء وتنشيط البدن لا يخشى منه أدنى ضرر مع وجود معلم له ومحل يناسبه، ومنها الركوب فى العربات والهوادج والسفن والأرجوحات وركوب الخيل والتحرك فى السير إلى الأمام والرجوع إلى الخلف ورفع اليدين وخفضهما معا واستعمال آلة الوثب ورفع الجسم ودورانه واللعب بالكرة الجلدية التى ترتفع وتنخفض بمجرد إلقائها على الأرض والرمي إلى غرض معين، فينبغي للإنسان أن يستعمل الرياضة قبل الأكل وبعده بزمن قليل وعقب الشغل مع التوسط فيها وفى الشغل، فإن الانهماك فيها مضر جدا، وإياك وشرب الماء البارد عقب التعب، فإنه ربما أدى إلى الهلاك.

﴿ كيفية السلوك فى الأحوال المعتادة للمعيشة الموجب لسعي الإنسان وكده وتعبه فى هذه الدنيا ﴾

أنت تحس بطبيعتك أنك محتاج إلى أمور لإصلاح بنيتك المادية وتنمية أجزائك العضوية وحفظها من الحر والبرد وأذى الأعداء والحيوان كالغذاء والسكنى والملبس وبعد حصولك على ما تحفظ به نفسك تميل إلى استيفاء حظوظك ولذاتك المباحة ثم تجد أنك فى شدة الاحتياج إلى الأمور العقلية كالتربية التهذيبية والتعليمات الأدبية، فإذا كنت محاطا بجميع ذلك فلا مفر من اندفاع نفسك إلى النشاط والكد والسعي وتبذل غاية الوسع والجهد وتطرح الكسل والملل ولا تقطع الأمل طالبا وجوه المكاسب والمنافع ودقائق الفنون والصنائع، قال الله تعالى: " وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى "، وقال جل شأنه: " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوْا فى ٱلأَرْضِ وَابْتَغُوْا مِنْ فَضْلِ اللهِ"، وقال عليه الصلاة والسلام: "أُطْلُبُوا الرِّزْقَ فى خَبَايَا ٱلأَرْضِ "، وقال الشاعر:

وَمَا طَلَبُ الْمَعِيْشَةِ بِالتَّمَنِّيْ ۞ وَلَكِنْ أَلْـقِ دَلْوَكَ فى الدِّلاَءِ

﴿ وجوه الكسب والمنافع ﴾

إنك قد تربيك فى كفالة أهلك فى صغرك، فعليك متى كبرت وملكت زمام أمرك أن تعول ذريتك وعيالك وتسعى لهم بما يصلح حالهم وينعم بالهم من الكسب والسعي فى طلب الرزق الحلال بأن تختار ما ألزمك أهلك به ورأوه نافعا لك، وتجتني ثمرته من صنعة كتابة أو خياطة أو حياكة أو حدادة أو برادة أو نجارة أو زراعة أو تجارة أو صيرورتك رئيسا أو طبيبا أو مهندسا أو قاضيا أو حاكما أو معلما أو جنديا أو غير ذلك من وجوه الكسب وطرق المنافع.

﴿ الوسائل التى تصلح أحوال المعيشة ﴾

إن الوسائل التى تصلح أحوال معيشتك هى منحصرة فى العلم والعمل والتدبير.

﴿ العلم ﴾

العلم يثقف عقلك ويهذب خلقك ويجمل طبعك ويرفع شأنك ويؤهلك لأن تدخل فى أعمالك كل تحسين جديد وتكميل مفيد بواسطة تأليفك وتصنيفك وتعليمك وتفهيمك واختراعك وابتداعك ويرشدك للعمل ويمهد لك سبيل النجاح.

﴿ العمل ﴾

العمل هو واسطة الكسب وقوام النمو وعماده المتين سواء كان معنويا كعمل الكاتب والشاعر والمؤلف والمخترع أو حسيا كعمل الحائك والخياط والصباغ والنقاش.

﴿ السلوك فى العمل ﴾

عليك فى عملك بفرط الهمة وعظم الأقدام والثبات واصدق ودقة الصنعة وحسن الاختراع وزحرفة العمل، ولا تنس بركة التعاون فى الأعمال وفوائد التوازر فيها، فإن فوائده لا تحصر ومنافعه ثابتة

بادلة لا تنكر وحسبنا دليلا على ذلك أن عشرة فعلة فى أحد معامل الأبر يصنعون فى نهار واحد منهم أربعة آلآف ثمانية وأربعين ألف إبرة، فيكون ما صنعه كل واحد منهم أربعة آلآف ومانمائة، مع أنه لو انفرد كل واحد عن رفقائه مع وجود الآلآت وتيسر المعدات لما استطاع أن يصنع عشرين إبرة، ومن التعاون على الأعمال عقد الشركات وكثرة الجمعيات من العملة واحدة تصنع الأنسجة وأخرى تعمل الأذية وثالثة تدبغ الجلود وأربعة تبني البيوت الصغيرة وتؤجرها وهكذا مما يجلب المنفعة ويزيد الثروة، ومنه الإكثار من المدارس الليلية والأندية الأدبية التى تحث على العمل والأقدام على المنافع.

﴿ التدبير ﴾

التدبير هو الحكمة التى تبعثك على الاهتمام بغدك والنظر فى عاقبة أمرك والاقتصاد فى مالك الذى هو ثمرة أعمالك وقاضي حاجاتك ومذلل صعوبتك ومقرب غايتك.

﴿ الاقتصاد فى المال ﴾

الاقتصاد فى المال عبارة عن حفظه من الإسراف والتبذير بأن تدخر شيئا من دخلك مهما كان قليلا، فإن الدرهم إذا أضيف لمثله تضاعف، وأن لا تنفق أكثر من دخلك، وإلا صرت مجنونا سفيها قاصر العقل، وأن تدفع ما عليك نقدا متباعدا عن الدين، فإنه داهية عظمى ومصيبة كبرى، وأن لا تنفق اعتمادا على ربح سيصل إليك، فإن فعلت ذلك وقعت فى الدين والفقر، وأن تكتب جميع دخلك وخرجك وتراجعه مرات عديدة لتصير على بينة من أمره وفى أول كل سنة يلزمك أن تقدر النفقات اللازمة لك لتعرف المقدار الذى يقوم بحاجتك وتضع الزائد فى صندوق الوفر، وأن تعتني بالأمور الصغيرة اعتناءك بالكبيرة، فإن صغار الأمور تولد كبارها، وأن تراقب جميع أعمالك بنفسك بحيث تعرف جميع ما احتوى عليه بيتك وما ينفك فيه، وأن تلاحظ أشغالك بذاتك، فإنه لا يتعب لك أحد فيها وأنت فى غفلة عنه، قال الشاعر:

مَا حَكَّ ظَهْرَكَ مِثْلُ ظُفْرِكَ ۞ فَـتَوَلَّ أَنْتَ جَمِـيْعَ أَمْـرِكَ

﴿ طرق الإسراف ﴾

إن أهم طرق الإسراف لعب القمار والحمام واعتياد مجالس السماع والطرب والتفنن فيما يذهب العقل ويضر بالصحة والمشروبات الروحية أو يضر بالصحة كشرب التبغ والتأنق فى المأكل والملابس والمشارب والمساكن، فإياك وأن تسترسل فى مثل هذه الأمور وإلا عظمت مصيبتك وضاقت معيشتك وضاع شرفك وثلم صيتك وكثر دينك، فتحتاج إلى بيع أرضك ورهن بيتك وآل أمرك إلى أن تمشي فى الطريق تسأل هذا رغيفا وذاك قميصا.

﴿ آداب الزيارة ﴾

إذا أردت أن تزور أحد أصدقائك أو رفقائك فاستأذن قبل الدخول ثم ابدأه بالسلام عملا بقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها"، ولا يحملك عدم إذنه لك فى الدخول على إساءة الظن به، بل على أن هناك

عذرا شديدا منع ذلك، وينبغي لك أن تخفف فى الزيارة بحيث لا تكون المدة بين الزيارتين طويلة مملة ولا قصيرة مخلة، قال عليه الصلاة والسلام: " زر غبا تزدد حبا "، وقال الشاعر:

لاَ تَزُرْ مَنْ تُحِبُّ فى كُلِّ شَهْرٍ ۞ غَيْرَ يَوْمٍ وَلاَ تَزِدْهُ عَلَيْهِ
فَاجْتِلاَءُ الْهِلاَلِ فى الشَّهْرِ يَوْمُ ۞ ثُمَّ لاَ تَنْظُرُ الْعُيُوْنُ إِلَيْهِ

ومن أدب الزيارة أن تظهر الأسف والكدر فى مقام الحزن والفرح والسرور فى مقام الفرح، وأن لا تدعو من تزوره إلى محادثة أخرى واقفا على قدميه متى أردت الذهاب، وإياك والزيارة فى أوقات الأكل وطول المكث إذا رأيت أن من تزوره ينظر فى ساعته أو يلوح على وجهه استغال باله بأمر يخصه أو وجدته مستعدا للخروج وأن تستأذن إذا طلبت الانصراف، وإن زارك أحد فقابله بالبشاشة واللطف والمعروف والإكرام وحيه بأحسن من تحيته ولازمه إلى الباب إذا أراد الانصراف، وينبغي لك أن تقابل من الباب من هو أكبر منك سنا أو مقاما، وأن تترك الشغل حتى يأذن لك الزائر بالاستمرار فيه، وأن لا تتوجه إلى محل آخر مع انفراد الزائر فى المحل المعد له إلا

عند الضرورة، وأن ترد الزيارة، وأن لا تنتظر من رئيسك أو ممن هو أعلى منك مقاما وفضلا رد زيارتك له.

﴿ آداب عيادة المريض والتعزية ﴾

إذا أردت أن تعود مريضا فينبغي لك أن تضع يدك على يده أو جبهته ثم تسأله قائلا كيف أصبحت، وكيف أمسيت، وأن تجتهد فى تسليته وتقويته على تحمل ألم الداء، ومعاناة الدواء بألفاظ رقيقة وعبارة لطيفة، وأن تخفف الجلوس عنده إلا إذا كان المريض يميل إلى كثرة جلوسك ويحبه، وأن تقول عند الانصراف: " كشف الله ضرك وغفر ذنبك وحفظك فى دينك وبدنك ".

ومن محاسن الأدب تعزية أهل الميت بأن تحملهم على الصبر وتذكر ما يخفف الحزن ويهون المصيبة، كأن تقول لبعض إخوانك: " أيها الأخ، إن نوائب الدهر لا تدفع إلا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالية والدمعة الساكبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك، فإن القضاء نازل والموت حكم

شامل فإن لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على ملك الأمر "، ويستحب التعزية قبل الدفن وبعده، وتكره بعد ثلاثة أيام.

﴿ الولائم ﴾

هى ما يتخذ من مأكول أو مشروب عند سرور حادث كعرس أو ولادة أو ختان أو بناء أو عود من سفر فى جهات بعيدة، والإجابة لوليمة العرس واجبة لما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: " إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى وَلِيمَةِ العُرْسِ فَلْيُجِبْ "، وأما الإجابة لغيرها فسنة.

﴿ الدعوة للوليمة ﴾

ينبغي أن تكون الدعوة سابقة على الوليمة بزمن يتمكن فيه المدعون الحضور أو تقديم معذرته، وأن تكون دعوة المساوي لك فى الرتبة والأقل منك بالكتابة، وأما من هو أرفع منـزلة فتذهب إليه بنفسك وتدعوه إجلالا له، ويلزم المدعو إذا طرأ عليه عذر يمنعه من الحضور أن يخبر الداعي حالا مظهرا غاية الأسف على تخلفه.

وينبغي للمدعو أيضا أن يقبل الدعوة ويحضر فى الوقت المعين أو يعتذر بهيئة أدب كمال.

﴿ شروط الإجابة لوليمة العرس ﴾

لا يلزم إلا بشروط، منها أن لا يخص الداعي الأغنياء بالدعوة لغناهم، وأن تكون الدعوة فى اليوم الأول إن كانت الوليمة ثلاثة أيام أو فى الوقت الأول إن جعلت فى ثلاثة أوقات ما لم يكن تعدد الأوقات أو الأيام ناشئا عن ضيق المنـزل أو جعل كل يوم أو وقت لصنف من الناس، وإلا وجبت فى كل يوم وكل وقت، وأن يكون الداعي مطلق التصرف وإلا حرمت الإجابة إن كانت الوليمة من ماله، وأن يعين الداعي بنفسه أو نائبه المدعو، وأن لا يعتذر المدعو للداعي ويقبل عذره بدون حياء، وأن لا يسبق الداعي غيره، وإلا أجاب السابق، فإن كانت الدعوة منهما فى وقت واحد أجاب أقربهما رحما ثم دارا فإن استويا أقرع بينهما. وأن لا يكون الداعي ظالما أو فاسقا أو شريرا أو متكلفا طالبا للمباهاة والفخر، وأن لا يحصل للمدعو عذر يدعوه إلى التخلف كمرض أو وحل، وأن لا يكون هنا منكر كآلة

لهو أو فرش محرمة أو صور حيوان مرفوعة على هيئة لا تعيش بدونها، وأما خيال الظل المعروف فلا يمنع من الحضور لأنه عبارة عن شخوص مثقبة البطون، وما أحسن قول بعضهم فى هذا القبيل:

رَأَيْتُ خَـيَالَ الظِّلِّ أَكْبَرَ عِبْرَةٍ ۞ لِمَنْ هُوَ فى عِلْمِ الْحَقِـيْقَةِ رَاقِيْ
شُخُوْصٌ لأَرْوَاحٍ تَمُرُّ وَتَنْقَضِيْ ۞ تَرَى الْكُلَّ يَفْنَى وَالْمُحَـرِّكُ بَاقِيْ

وأن لا يكون فى محل الدعوة من يتأذى به المدعو او لا تليق به مجالسته.

﴿ آداب الجلوس على مائدة الوليمة ﴾

إذا أردت الجلوس على مائدة الوليمة فاغسل يديك ثم اجلس بحيث يكون الجلوس متوسطا بين القرب من الطعام والبعد عنه، ثم سم الله محترسا من نفخك فى الملعقة أو الطعام أو شمه أو قربه من الأنف، ومن رفع صوت المضغ مظهرا استحسانك للأطعمة مساعدا كبير السن فى تناول ملح أو خبز أو غير ذلك إذا جلست بالقرب منه، وإياك وأن تسبق إخوانك فى الأكل بالتأني حتى يبدأ غيرك إلا إذا

دعيت لذلك. قال الشاعر:

وَإِنْ مَدَتِ ٱلأَيْدِيْ إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ ۞ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَشْجَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ

وعند أكل الفاكهة يلزم أن تقطعها بسكين نظيف وترمي القشر والنوى أو الحبوب قبل أن تضعها فى فمك، وإن دعا الأمر بطلب شيء حال الأكل ينبغي أن يكون الطلب بإشارة لطيفة لا بصوت عال، وعند الفراغ من الأكل تغسل يديك وتحمد الله على نعمه الجزيلة ثم تقول: " اللّٰهُمَّ هن آكليه وأخلف على باذليه "، ثم تستأذن إن طلت الانصراف بغاية الأدب وكمال الاحترام.

تمت بعون الله تعالى

والله أعلم بالصواب

فهرس

﴿ التحلية والترغيب ﴾

التَّحلِيَةُ وَالتَّرغِيبُ

